

حول نظام الآباء الغذائي

الشيخ غفرئيل الديونيسيائي*

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

عندما حرّكت نعمة الله قلبي للمجيء إلى هذا المكان المبارك للسلام والصلاة، كان ذلك في شباط من عام ١٩١٠. كانت رغبتني في الذهاب إلى إسقيط كافسوكاليفيا، حيث كان القديس أكاكبوس قد عاش كناسك، وهو مولود في نفس المكان الذي وُلِدْتُ فيه. كما كان هناك أرشمندريتان شقيقان بالجسد، أيضًا من مسقط رأسي. أحد هؤلاء، الأب الروحي باندلايمون، الراهب الأكثر احترامًا وفضيلة للغاية، ربما يكون الأقدم بين الأثوسيين الذين ما زالوا على قيد الحياة، وقد أصبح شيخًا يبلغ من العمر مئة وثلاث سنوات.

في الواقع، كان قراري بعد وصولي إلى الجبل المقدس أن أذهب وأعيش كناسك، لذلك انطلقت سيرًا على الأقدام من دافني للذهاب إلى كافسوكاليفيا. ولكن عندما مررت بدير القديس ديونيسيوس المقدس، رأيت انتظام الآباء في يوم أقيمت فيه جنازة راهب شماس متقدم في السن. لقد تأثرت كثيرًا بجو النسك في الدير وبالبيئة الطبيعية، فبقيت هناك واضعًا رجاء خلاصي على ربنا الصالح والسابق الكريم [وهو شفيح الدير].

لقد كان الصوم الكبير عندما استقبالي في الدير، وعُيِنْتُ كمساعد في مساكن الضيوف. في ذلك الوقت، كانت الأساقيط والأديرة المقدسة والقلالي تعج بالرهبان والنسك، إذ كان لهم أساقيط، وكانوا قادرين على المشاركة بكثافة وسخاء. لذلك، في أمسيات السبت، كان يأتي النسك للاشتراك في السهرانية واستلام "صدقاتهم" كما هو موصوف.

لقد شعرتُ بانجذاب طبيعي وتبجيل نحوهم، ولكن احتراماً كنت امتنع عن طرح الأسئلة، على الرغم من أنني كنت أحاول التنصت عندما كنت أجلس إلى جانبهم. لقد أردتُ أن أسمع شيئاً مما كانوا يقولون، حتى أتعلم شيئاً عن حالتهم الروحية.

كان الليل يحلّ وكنا ننتظر صوت السيمانندرا للسهرانية. كُنَّا قد شربنا القهوة المعتادة، الراهبان والضيوف، وكنت جالسًا أستريح في غرفة الاستقبال، في انتظار بدء سهرانية الأحد الخامس من الصوم الكبير.

يبدو أن الرب الطيب أرادني أن أعرف عن نظام الآباء النساك الغذائي، كما أن يريحني من التذمر الداخلي الذي كان عندي بشأن براعم الكرمة السوداء (Bryonia-Bpuwvia). فقد كنت أشتكي منها لسببين: أولاً لأنني من بين الأصغر سنًا، فكنت أرسل مرتين في الأسبوع مع آخرين من جيلي لجمع النباتات، مما يعني أن الخدمة تفوتنا؛ وثانيًا لأنني لم أستطع أن ألزم نفسي على أكلها عند طهيها، لأنها كانت مرّة جدًا. وهكذا رثب الرب أن يأتي اثنان من النساك ويجلسا على المقعد بالخارج. سأل أحدهما الآخر عن كيفية تدبره مع الصوم الكبير حتى الآن. "بصلواتكم ونعمة المسيح حسنًا. نحن نعيش بالقرب من الأب الروحي القديس بابا متايوس. فهو يخدم القديس لنا ونتناول أيام الأربعاء والسبت. أرسلني الشيخ لجلب الخبز والنبيد للمناولة وبعض الشموع، وبعد ذلك سأعود."

فسأله الأول "من الناحية الأخرى، كيف صحتك الجسدية؟"

أجاب الآخر: "المجد لله. هذا العام، رحمننا الله والمكان مليء بالكرمة السوداء، لدرجة أننا بالكاد لاحظنا الصوم الكبير على الإطلاق. كل يوم نقوم بغلي القليل مع شيء من الأرز، والزيت في عطلات نهاية الأسبوع، ونحن في وضع جيد مع الطعام. المجد لاسم الرب." عندما سمعت هذا وبّخت نفسي وشفيت من هوى التذمر، لأننا في الدير كنا نطبخه مرة أو مرتين في الأسبوع وكان لدينا زيتون أو تين على المائدة أيضًا، بينما في الصحراء ربما لم يكن لهم ذلك.

إن الكرمة السوداء التي نأكلها من أطراف النبتة. فهي نبات متسلق يفضل الظروف الرطبة. إنها مريرة للطعم، وبحسب علماء النبات هي مدرة للبول ومنظفة للدم. تنمو في بقع رطبة في جميع أنحاء الجبل المقدس وتندفع براعمها الرقيقة عبر الأرض من بداية شهر آذار وحتى نهايته. إنها تُعتبر نعمة من الله خلال هذه الفترة الصيامية. من يأكلها لأول مرة، خاصةً بدون زيت الزيتون، كما هو الحال في الجبل المقدس أثناء الصيام، تبدو بالفعل ضارة وسامة. ولكن مع مرور الوقت يعتاد الآباء عليها ويجدونها صالحة للأكل ومفيدة.

* الرئيس السابق لدير ديونيسيوس في الجبل المقدس (+١٩٨٣)